دراسة نقدية لعقيدة الفداء في المسيحية

محمد نثار الحق*

مقدمة

المسيحية من الاديان السماوية وقد ذكر المسيحيون مع اليهود فى القرآن الكريم كأهل الكتاب . ولكن فضل الله النصارى على اليهود عندما قال انهم الضآلّون – وليسوا المغضوب عليهم مثل اليهود وأنهم أقرب مودة للذين آمنوا. ﴿ذلك بان منهم قسّيسين و رهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (١). وفيه اشارة الى ان النصارى اكثر استعداداً لقبول الحق من اليهود وأن المناقشة العلمية معهم ربما تجد قلوبا واعية وآذانا مصغية. ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يناقش عقائد هم مناقشة تفصيلية ويذكر ما عندهم من الزيغ فى باب العقائدحتى يكون الحق ابلج ساطعا. فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ولقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح إبن مريم..﴾(٢)

وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة...﴾(٣) وغير ذلك. وهذا كله ليس لأجل الخصومة وانما من منطق الاصلاح ودعوتهم الى الحق.

فمن باب الإتباع لمنهج القرآن نختار عقيدة اساسية من عقائد النصارى وهىعقيدة الفداء وندرسها دراسية تحليلية واقعية بعيدة عن

---

* محاضر فى كلية اصول الدين الجامعة العالمية الإسلامية، اسلام آباد

التعصب الدينى الذى يقلل من القيمة العلمية للبحث حتى يتضح امام القارى هذا الاساس الدينى التى تدور عليه المسيحية.

وسيتمثل منهجنا فى هذا البحث فى دراسة هذه العقيدة من خلال نصوص المسيحية وما اشتهر على السنة كبار المسيحيين و العلماء ثم نقدها نقدا علميا عقلا و نقلا.

معنى الفداء؟

الفداء لغة مصدر فدى يفدى أى اعطى شيئا فانقذه وفدى الرجل من الأسر يعنى استنقذه فمال او سواه والفدية هى ما يعطى عوض المفدى. (٤)

اما فى مصطلح المسيحيين فالفداء يعنى الطريق الذى يتم به الحصول على رضى الاله وموافقته وهذا يكون بموت المسيح على الصليب. فالفادى هو المسيح الذى فدى البشر بدمه. (٥)

ما هى عقيدة الفداء

من المعروف ان صلب المسيح عليه السلام فى عقيدة النصارى ينسب الى عقيدة الفداء لديهم. ويعتقد النصارى ان المسيح قد حكم عليه اليهود بالاعدام وقبض عليه جنود الرومان وتهكموا عليه قائلين انه "ملك اليهود". ثم البسوه ثوبا ار جوانى اللون وتاجا شائكا(٦) وأخذوه الى جبل الجمجمة. وعندما وصل الى المكان المحدد لتنفيذ حكم الأعدام جرد المسيح من ملابسه وسمر على الصليب. وفوق الصليب كانت العبارة المنقوشة تبين ذنبه بأنه ادعى انه ملك اليهود (٧). وقد ظل المسيح معلقا على الصليب ثلاث ساعات ووجده الجنود ميتا. ولكن دق واحد منهم رمحه فى جنب المسيح وسفح منه الدم والماء (٨). ثم دفنوه قبيل غروب الشمس. هذا هو ماجاء فى الاناجيل.

جاء القيس بوليس الطرسوسى (م ٦٥ م) واو غسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) و فسرا موت المسيح تفسيرا باطنيا بقولهما ان المسيح عندما

صلب قدم نفسه فى الحقيقة فداء لذنوب ابناء آدم. وفحوى هذه العقيدة انه نتيجة للمعصية الأصلية التى اصبحت جزءاً من طبيعة ذرية آدم والتى افسدت كل ابنائه . ويوضح الكتاب المقدس- حسب الاعتقادات المسيحية - التاثيرات الموروثة للمعصية الاصلية التى تظهر فى كل مولود عاجلا او أجلا ، كما انه يبين ان نتائج الخطيئة يرثها كل بنى آدم . والطريق الذى اختاره الله تعالى لازالة هذه المعصية من الناس هو صلب المسيح ، كما ورد فى دائرة معارف الاديان حيث جاء فيها:

"فى المصطلحات اللاهوتية المعاصرة اصبح معنى الفداء الطريق الذى يتم به رضا الله عن طريق موت المسيح" (٩).

فالمسيح عليه السلام - طبقا لهذه العقيدة . قد مات كفارة لذنوب بنى آدم ، وعلى هذا كل من يعتقد صلب المسيح ويقوم بالعماد تزال عنه آثار المعصية الاصلية وهذا يعنى ان المسيح مات من اجل خطايا الناس (١٠).

نبذة تاريخية عن عقيدة الفداء كما تصورها لنا المسيحية

خلق الله تعالى آدم و اسكنه فى الجنة و وفر له كل سبل الراحة فيها و اعطاه حرية الارادة الكاملة مع ذلك نهاه عن بعض الامور. وبسبب حرية الارادة الكاملة كان يمكن لآدم ان يقوم بأىّ عمل حسن او سيئ (١١) ثم اباح الله تعالى لآدم ان يعيش كما يحلو له ويأكل ما يشآء الاّ من الشجرة الممنوعة. وقال لآدم مشيرا الى تلك الشجرة الممنوعة "يوم تأكل منها موتا تموت" (١٢) وهذا النهى الوحيد لم يكن صعبا على آدم مع كل ما اتيح له من وسائل الراحة لأنه لم تكن لديه عواطف الهوس ونزعات الشهوة على الاطلاق. ورغم ذلك كله عصى آدم ربه وأكل من الشجرة الممنوعة و ارتكب المعصية وهذه المعصية بقدر ما كان الامتناع عنها سهلاً كانت شنيعة جدا فى الكيف وفى الكم (١٣) و قد سبب

هذا الذنب خطايا كثيرة مثل الكبر والكفر والقتل والزنا والسرقة والطمع و...

ومن هذا اصبحت هذه المعصية أساس المعاصى كلها فى الدنيا. وبسبب هذه الجريمة بعد آدم عن الله وعن رحمته ومحبته وبسبب هذه الجريمة اصبح آدم مستحقا لعذاب الموت (١٤) وأصبح كل انسان يولد من صلبه و من حواء، المرأة التى وقع آدم بسببها فى هذه المعصية والتى تشترك فى العقاب معه ، يستحق ، هذا العقاب الدائم ايضاً لأنه من صلبهما. هكذا يستحق جميع البشر عقاب جهنم بسبب معصية ابيهم التى هى الخطيئة الاصلية (١٥).

ثما كان هناك سبيلان لتخليص بنى آدم من هذا العقاب الدائم:

- إمّا ان يغفر الله لهم جمعيا عقوبة الجريمة الأصلية ويعفو عن الخطايا الاخرى التى ارتكبها ابناء آدم بسبب هذه الجريمة.
- وإما ان يعاقبهم الله والعقوبة هى الموت اى يميتهم الله كلهم ثم يحييهم من جديد و يخلصهم من الجريمة.

ولكن هذا ظهرت مشكلة اخرى وهى ان عقوبة الله لهم بالموت الذى يستحقه جميع ابناء آدم ان كانت تتفق مع العدالة الالهية فهى لا تتفق مع رحمة الله لأن رحمته تقتضى المغفرة لكل ابناء آدم ولكن هذا يخالف العدالة الالهية. (١٦)

فالحل الوحيد لهذه المشكلة ان يأتى انسان ما ، لا يشترك مع ابناء آدم فى المعصية الاصلية وأن يحمل معاصى الناس كلهم. ومعنى هذا ان يعاقبه الله تعالى عقاب الموت ، وهذه العقوبة تسرى على جميع الناس وهكذا يمكن إزالة المعصية الاصلية من كل الناس وايضاً كل الجرائم التى حدثت بسببها. وبعد هذا يحيى الله سبحانه وتعالى هذا الفادى ثم يدخل الناس جميعا حياتهم الجديدة الخالية من المعصية الاصلية ويحصلون على حرية الارادة. و هناك بعض الشروط الازمة للفادى وهى:

اوّلا: لابد ان يكون الفادى انسان لانه من اللازم ان تكون الفدية مساوية للمفدى عنه. ولا يساوى الانسان الانسان.

ثانيا: وبما ان هذا الفادى سيكون فاديا لكل البشر ان تكون قيمته معادلة لكل بشر.

ثالثا: ان يكون الفادى خاليا من الخطيئة خلوا تاما.

رابعا:ان لا يكون الفادى مخلوقا لانه لو كان مخلوقا لكان بجملته ملكا لله. والشخص الذى لا يملك نفسه لا يحق له تقديم نفسه فدية عن نفس ما. اذا، الفادى يجب ان يكون غير مخلوق لكى يكون من حقه ان يقدم نفسه كفارة (١٧).

وهذه الشروط لا تتوافر الا فى الله سبحانه وتعالى لانه وحده غير مخلوق وبرئ عن الخطايا فنزل الله تعالى فى صورة ابنه وهو المسيح. والمسيح لم يدخل رحم مريم من نطفة انسان لذلك هو برئ من الخطيئة الاصلية التى يشترك فيها جميع البشر. كان لا بد ان يكون الله فى صورة انسان لان الانسان هو الذى كان يحتاج لان تكفر عنه المعصية.ولو لم يكن الله فى صورة بشر لما كان التكفير عن المعصية الاصلية ممكنا (١٨) فولد المسيح بدون اب لذلك هو يختلف عن بنى آدم من ناحيتين:

ا- ولادته بدون الاب.

ب- برائته من المعصية الاصلية.

فالهدف الاول والاعظم لحياته هو تاهيله ليكون قربانا لان القربان لابد ان يكون طاهرا ونظيفا .(١٩)

فعاش المسيح عليه السلام بدون اية معصية وصلب على الصليب وكفر ذنوب جميع الناس. وهكذا خلص جميع ابناء آدم من عقاب جهنم كما كانت تقتضى رحمة الله تعالى ، وهذا لم يخالف العدالة الالهية ايضا (٢٠) ويشير الى نفس الموضوع الكتاب المقدس حينما يقول "لكن احزاننا حملها و اوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله و

مذلولا ، وهو مجروح لاجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثا مناتأديب سلامنا عليه و بحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جمعينا" (٢١).

هذه هى خلفية عقيدة الكفارة والصلب عند النصارى وقد اعتمدنا الى اكبر حد ممكن على كتب المسيحية فى تصوير هذه العقيدة. وخلاصة الكلام ان كل مولود يولد على المعصية وتسقط عنه المعصية فقط عندما يؤمن بان المسيح هو الفادى ويقوم بالعماد (Baptism) او المعمودية وهى نوع من عملية الغسل بالماء التى تجرى على كل من يعنتق النصرانية ، ولا يعتبر احد نصرانيا بدونها ، ومن وراء هذه الطقس عقيدة الكفارة وذلك ان التعميد يجعل الانسان يموت ويحيى من جديد عن طريق يسوع المسيح ، و بالموت ينال العقوبة على خطيئة الاصلية و بالحياة الجديدة يحظى بحرية الارادة من جديد.

دراسة نقدية

كل الشرائع جاء بها رسل الله تعالى، يؤيدها العقل والفكر، والقرآن الكريم يدعو الى التفكير والتدبر ، فقد تكرر قوله تعالى فى القرآن الكريم "لعلكم تتفكرون" افلا ينظرون".

والعقائد الاساسية- على الاخص- فى اى دين لابد ان تكون موافقة للعقل. وقد شرحنا عقيدة الفداء كما هى عند النصارى ، والان نبحث موقف العقل من هذه العقيدة.

يعتقد النصارى ان قضية الصلب والفداء تحقق العدل والرحمة معا. ولكنا نقول انها تخالف كليهما. لان أوليات العدالة تقتضى ان يتحمل المخطئ العقاب ولا يكون العقاب على غيره. ولكن فى المسيحية يخطى آدم عليه السلام يعاقب عيسى عليه السلام. هل هذه يتفق مع العدالة؟

اما الرحمة فهى لم تتحقق لان معنا ها العفو و الصفح او التخفيف فى العقاب ولكن الامر على عكس هذا فى قضية الصلب والفداء. فآدم

هو الذى ارتكب الخطيئة ولكن شخصا اخر بريأ من كل المعاصى عوقب بالقتل. هل هذه هى الرحمة؟ ثم هل خطيئة الاكل من الشجرة الممنوعة تستحق ان يعاقب مرتكبوها بالموت؟ وهل عقوبة العذاب بالنار تقع على خطيئة الاكل من الشجرة الممنوعة؟ هذا يوضح ان فلسفة الصلب والفداء تخالف العدالة والرحمة معا ، وانها منقوضة بالعقل. فالعدالة تقتضى توقيع العقوبة الكاملة على الجانى ، والرحمة تقتضى عكس ذلك. فكيف يجتمع هذان الضدان معا.

اذا كانت الحكمة من صلب المسيح (حسب زعم النصارى) هى فداء الجنس البشرى حتى لا يخلد فى عقاب جهنم فلما ذا لم يبعث الله ابنه عندما اخطا آدم عليه السلام او بعد ذلك فورا؟ لما ذآ انتظر لهذه المدة الطويلة. هل كان الله تعالى يفكر فى هذه المشكلة و لم يجد اى حل الا بعد اربعة الاف سنة؟ "طبعا هذا غير مفهوم وغير معقول عند كل من يفكر ويعقل ، لان هذا يعنى ان الله وقع فى التزدد والحيرة طوال هذه المدة بعد معصية آدم و هذا يتنافى مع الايمان بالله وقدرته لانه يعنى ببساطة. ان هناك نقصا فى علم الله وحكمته والله برى من كل هذا. جاء المسيح بعد آدم عليه السلام بالاف سنة. فما هى عاقبة الذين ماتوا فى تلك المدة؟ اذا كانوا من الناجين فكيف والفادى لم يبعث لهم؟ واذا كانوا من المعاقبين فلما ذا لم تشملهم رحمة الله؟ اليست هذه قسوة فى حقهم؟ ولما ذا ارسل الله فاديا ليفدى بعض الناس دون البعض؟ (٢٢) ان عقيدة الصلب والفداء تعنى ان كل انبياء الله قبل مجئ ، المسيح ملوثون بالخطيئة ولكن المسيح جاء وهو تابع لشريعتهم ، فلما ذا ارسل الله ابنه على شريعة الملوثين بالخطيئة والمعصية؟ ثم لماذا اختارهم الله تعالى رسلا وهم مخطؤن عاصون؟ (٢٣) ان العدالة الا لهية تقتضى ان يعطى كل واحد فرصة العمل ثم يحاسب على اعماله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره﴾(٢٤).

ولكن حسب عقيدة الصلب والفداء يولد جميع الناس وهم عاصون. اليس هذا ظلما فى حقهم؟ وكل ابناء آدم عصاة ، طبقا لهذه العقيده ، لان المعصية الاصلية يرثها نسل آدم بلا استثناء. وما دام المسيح ولد بدون اب فهو برئ من هذه المعصية. نقول ان هذا غير معقول لان المراة ايضا عاصية لانها من نسل آدم. ثم ان آدم ارتكب هذه الجريمة بسببها(٢٥) وما دام عيسى ولد من مريم ، وهى واحدة من بنات آدم و حواء ، فكيف يكون عيسى بريئا من الخطيئة الاصلية؟

والحق ان الاعتقاد فى ان صلب المسيح ادى الى مغفرة ذنوب الناس كلهم يجعل الانسان يتصور ان ذنوبه قد غفرت نتيجة هذا الصلب ، فهو لا يحتاج الى الاعمال الصالحة و اجتناب المعاصى ، وهذا طبعا يوثر تاثيرا سلبيا على اعمال الناس ويضر صحة المجتمع ككل.(٢٦)

هذه العقيدة تخالف القواعد العقلية البسيطة التى تقضى بان الادنى يضحى به لاجل الاعلى، والقليل يضحى به من اجل الكثير. فمثلا يضحى الانسان بحياته من اجل اعلاء كلمة الله ، لان كلمة الله اكثر اهمية من حياة الانسان. ولكن ابن الله الوحيد الذى هو اعلى من الناس كلهم يصير فداء للمخلوق العاصى. هذا غير معقول وغير مفهوم. انه مثل الذى ينفق مائة روبية ليحصل على عشر روبيات (٢٧). والغرض من تجسيم المسيح – طبقا لهذه العقيدة – هو هذه الكفارة ولاجل هذا جاء المسيح الى هذه الدنيا (٢٨) واذا كان الامر كذلك فلما ذا لك يقدم نفسه فورا دون محاولة الخلاص من هذا الموت على الصليب؟

ثم يعتقد النصارى ايضا ان الله قدصلب المسيح لاجل الناس حتى تتحقق العدالة ثم احياء بعد ذالك فى الليلة الثالثة دون ان يراه احد ، ومعنى هذا انه قدم أبنه فداء امام الناس ثم احياه فىالخفاء. اليست هذه خديعة؟ ان الله يميت ابنه موتا لعينا امام الناس ولكن يحييه بعد ذلك. فمن

يستطيع ان يحيى ابنه الفادى بعد الموت يستطيع بكل تاكيد ان يغفر ذنوب الناس بدون الكفارة وهذا كان اقرب الى رحمته.

و عندما ننظر الى نتائج فكرة الكفارة نجدها غير معقولة ايضا. فمثلا جاء فى الكتاب المقدس ان آدم عند ما اكل من الشجرة الممنوعة سأله ربه "هل اكلت من الشجرة التى اوصيتك ان لا تاكل منها؟ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى اعطتنى من الشجرة فاكلت " ثم قال الرب للمرأة " اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولا دا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك وقال لآدم لانك سمعت لقول امرأتك و اكلت من الشجرة التى اوصيتك قائلا لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك، بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك"(٢٩) اذا كانت الكفارة غفران المعصية الاصلية فلما ذا تصاب بنات حواء حتى الان بهذه المصائب؟ لماذا تصاب المرأة المسيحية بالوجع وهى مؤمنة بأن المسيح هو الفادى عنها؟ ولماذا يتعب الرجل و يحصل على رزقه بصعوبة؟ كان المفروض – طبقا لهذه العقيدة – ان لا تبقى هذه الاثار للمعصية الاصلية . ولكن ما دامت النساء يشعرن بالوجع عند الولادة وما دام الرجال يتعبون فى الكسب لا توجد اية فائدة ولا اى اثر لصلب المسيح ، وهذا يدل على ان عقيدة الكفارة باطلة وغير معقولة.

وقد كان عيسى عليه السلام – طبقا لعقيدة النصارى – بريئاً من المعصية الاصلية لأنه ولد بدون أب. فنقول انه ولد من امه مريم وهى ملوثة بالمعصية الاصلية . ثم هى ، من حيث انها امرأة عاصية اكثر من الرجل لان المرأة كانت سببا فى معصية آدم لانها شجعته على ان يأكل من الشجرة الممنوعة . يقول الكتاب المقدس "فرأت المرأة" ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون و ان الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضا معها فاكل"(٣٠) و آدم لم يغو لكن المراة اغويت فحصلت فى التعدى"(٣١) وما دام عيسى ولد من المرأة

فقط فان معصية تكون اكبر من معصية الذيـن ولـدوا مـن اب وام . ففـى هذه الصورة هولا يستطيع ان يقدم نفسه لكفارة الذنوب ... و هذا يبطل عقيدة الصلب والفداء.

والفلسلة وراء هذه العقيـدة هـى ان آدم عصـى و أمـات الله ابنـه عيسى تكفيرا لجريمته . فهل هذا من الممكن فـى ايـة محكمـة بشـرية؟ هـل يمكن فى عرف البشر ان يعاقب اى واحد اخر بـ ـلا مـن الجـانى؟ و اذ لم يرض البشر مثل هذا التعامل فهل تقبله العدالة الالهية؟(٣٢)

والسؤال الأساسى فى هـذا الصـدد هـو ان الله اذا كـان يريـد ان يغفر ذنوب الناس او يزيل عنهم آثار المعصية الاصلية فمن قيد الله كـى لا يفعل ذلك بدون الكفارة؟ (٣٣) هل الله (نعوذ بالله) غـير قـادر علـى ان يغفر الذنوب بدون اى عقاب؟ اذن هو ليس بإله لان قدرته ناقصة.

واذا فرضنا ان صلب المسيح قـد كفـر المعصيـة التـى ارتكبهـا آدم باكله من الشجرة الممنوعة فماذا عن الخطايا الاخرى التى يرتكبهـا النـاس بعد ذلك ؟ يجيب المسيحيون على ذلك بأن الذنب بعد ذلـك ذنبهـم فهـم يعاقبون على ذلك(٣٤)؟ ولكننا نلاحظ ان الكفارة الكبرى التـى قـام بهـا ابن الله- باعتباره فاديا- تزيل معصية واحـدة و تـترك خطايـا كـبرى ، لا تعد ولا تحصى ، بدون ان تكفر عنها. ومن هذه الخطايا انكار وجـود الله والسخرية من وجود الجنة والنار. هـل تعتـبر معصيـة الاكـل مـن الشـجرة الممنوعة اكبر من هذه المعاصى؟ لماذا تكفر "الكفـارة" معصيـة آدم و تـترك معاصى اخرى كثيرة و عديدة؟ فما الفائدة- اذن- من مثل هذه الكفارة؟

وقد انتقلت المعصية الاصلية مرتين حسب هـذه العقيـدة: انتقلـب اولا من آدم الى ابنائه ثم من ابناء آدم الى المسيح . فهل القانون الالهى يجيز ان تحمل نفس وزر غيرها؟ وخاصة عندما تقول التوراة:

" النفس التى تخطىء هى تموت. الا بن لا يحمل من اثم الأب والأب لا يحمل من اثم الابن . برالبار يكون عليه وشر الشرير يكون عليه"(٣٥).

والسؤال هو كيف انتقلت معصية آدم الى ابنائه؟ ثم كيف حمل المسيح خطايا لم يرتكبها؟ اليس كله ضد تعاليم الكتاب المقدس؟

عقيدة الصلب و الفداء عقيدة مركزية فى دين المسيحية فكان من المفروض أن تشرح هذه العقيدة شحا كافيا فى الاناجيل الاربعة لانها هى روح المسيحية . والفكرة الاساسية فى اى دين او فلسفة تشرح و تبين مرارا. فمثلا يقوم اساس الاسلام على توحيد الله والاخرة والنبوة. وتوجد كل هذه العقائد منتشرة فى عدة مواضع من القرآن وفى الحديث . ولكن مع الاسف عند ما ننظر الى الاناجيل الاربعة التى تعتبر المصدر الوحيد عند النصارى لاقوال المسيح و تعاليمه فلا نجد اى قول ولا اى بيان من المسيح عن عقيدة الصلب والفداء بل يبلغها القسيسون والرهبان من انفسهم ، وهذا فى الرسائل المختلفة التى كتبت بعد موت المسيح . فالحال هو انه لا يستطيع اى واحد ان يثبت عقيدة الصلب والفداء (التى هى أساس المسيحية) من اقوال المسيح.

نقد عقيدة الفداء فى ضوء ما جاء فى الكتاب المقدس

كما عرفنا خلال دراستنا السابقة ان عقيدة الفداء هى لب المسيحية ، فكان من المتوقع ان توضح هذه العقيدة فى الاناجيل الاربعة بالتفصيل. ولكن من العجيب جدا اننا لا نجد اشارة واحدة الى عقيدة الكفارة فى اقوال المسيح عليه السلام فى الكتاب المقدس ولا فى اقوال الحواريين . وهذا يدل على ان هذه العقيدة قد اخترعتها الكنيسة بعد موت المسيح . لان كل ما نجده فى الاناجيل التى تستنبط منها الكنيسة عقيدة الكفارة الفقرات التالية:

ا) فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم .(٣٦)

ب) انه ولد لكم اليوم فى مدينة داؤد مخلص هو المسيح الرب.(٣٧)

ج) لان ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقدهلك.(٣٨)

د) كما ان ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين .(٣٩).

ه) لان هذا هو دمى الذى للهعد الجديد الذى يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا.(٤٠)

لا توجد فى الاناجيل الا ربعة سوى هذه الفقرات فى شأن عقيدة الكفارة . ولكن اصبحت الآن عقيدة الكفارة منتشرة جدا مع كل تفاصيلها الى حد ان اى شخص عندما ينظر الى هذه الفقرات يظن انها عن الفداء. ولكننا اذا نظرنا اليها بمعزل عن عقيدة الكفارة المعروفة ، لانفهم منها الا ان المسيح جاء ليخلص الناس عن طريق الهداية وهو مستعد لتقديم حياته ايضا فى سبيل هداية الناس. لا يستنبط من هذه الفقرات ان آدم عصى و انتقلت معصيته الى جميع ابنائه و ان المسيح جاء ليخلص الناس من هذه المعصية وعقابها. واذا جاز لا ان نستنبط من هذه الفقرات عقيدة الكفارة فلما ذا لا يجوزلنا ان تستنبط منها مفهوما آخر وهو ان عيسى عليه السلام يحمل مسؤلية معاصى الناس ، وبناء على ذلك يستطيع كل انسان ان يرتكب ماشاء من المعاصى دون خوف من العقاب لان المسيح قد قدم الفكارة له. ماذا يمنعنا من اخذ مثل هذا المفهوم من نفس الفقرات؟

على كل حال لايمكن اثبات عقيدة الكفارة من الاناجيل المقدسة ولا يوجد اى قول من اقوال المسيح يبين هذه العقيدة المسيحية. والسؤال

هو: من ايـن جـاءت اذن هـذه العقيـدة الى المسيحية؟ عندمـا نبحـث فـى الكتاب المقدس عن هذه العقيدة بصورتهـا المعروفـة عنـد النصـارى نجدهـا اول مرة فى رسالة "بولس" التى كتبها الى اهل رومية والتـى يشـرح فيهـا فلسفة هذه العقيدة و تفاصيلها عندما يقول:

" من اجل ذلك كانما بانسان واحـد دخلـت الخطيئـة الى العـالم و بالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطا الجميع . فانـه حتى الناموس كانت الخطيئة فى العـالم. علـى ان الخطيئـة لا تحسـب ان لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم الى موسى وذلك على الذيـن لم يخطؤ على شبه تعدى آدم الذى هو مثـال الآتـى ـ ولكـن ليـس كالخطيـة هكذا ايضا.الهبة. لآنه ان كان بخطية واحد مات الكثـيرون فبـالأولى كثـيرا نعمة ا لله والعطية بالنعمة التى بالانسان الواحد يسوع المسـيح قـد ازدادت للكثيرين. وليس كما بواحد قد اخطا هكذا العطية لان الحكم مـن واحـد للدينونة. واما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. لانـه ان كـان بخطيئـة الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالاولى كثير الذين ينالون فيـض النعمـة و عطية البر سيملكون فى الحيوة بالواحد يسـوع المسيح. فـاذا كمـا بخطيـة واحد صار الحكم الى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة. لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعـل الكثـيرون خطاة هكذا ايضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابرارا(٤١).

وايضا يقول:

" كل من اعتمد يسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنـا معـه بالمعوديـة للموت حتى كما اقيم المسيح من الاموات بمجد الاب هكذا نسـلك نحـن ايضا فى جدة الحياة . لانه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصـير أيضا بقيامته عالمين هـذا ان انسـاننا العتيـق قـد صلـب معـه ليبطـل جسـد الخطيئة كى لا نعود نستعبد ايضا للخطيئة (٤٢).

و بعد بوليس فسر القسيس " او غسطيونس" فلسفة هذه العقيدة بصورة اكثر تفصيلا وثبت فكرة المعصية الاصلية فى عقائد الكنيسة(٤٣).

فى ضوء هذا نعرف ان هذه العقيدة ليست مستنبطة من الاناجيل بل اخترعها "بوليس" والاخرون بعد المسيح.

والاساس الاول لهذه العقيدة هو ان ابناء آدم كلهم عاصون و يستحقون العقاب الدائم. فارسل الله ابنه ليخلصهم من هذه المعصية والعقاب . والقول بان كل واحد من الناس كان عاصيا قبل مجئ المسيح باطل طبقا للكتاب المقدس ، لان الكتاب المقدس تكلم عن عدة اشخاص عاشوا قبل مجيء المسيح وكانوا من الصلحاء والاتقياء ، فمثلا جاء فى الكتاب المقدس عن اخنوخ:

"فكانت كل ايام اخنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة وسار اخنوخ مع الله "(٤٤).

وجاء عن نوح عليه السلام:

" كان نوح رجلا بارا كاملا فى اجياله وسار نوح مع الله" (٤٥)

وعن ايوب:

"وكان رجل فى ارض عوص اسمه ايوب وكان هذا الرجل كاملا و مستقيما يتقى الله ويحيد عن الشر "(٤٦). ويقول الكتاب المقدس عن والدى يوحنا" وكانا كلاهما بارين امام الله سالكين فى جميع وصايا الرب واحكامه بلا لوم"(٤٧).

هذه الامثلة من الكتاب المقدس تثبت انه قد عاش الانقياء والصلحاء قبل مجئ المسيح. وهذا يبطل الحاجة الاساسية الى عقيدة الكفارة: وهى ان كل الناس على وجه الارض كانوا بعيدين عن الله بسبب المعصية الاصلية فجاء المسيح ليخرجهم من هذا . ولكننا عرفنا من كتابهم المقدس ان الامر لم يكن هكذا . بل كان هناك رجال اتقياء بررة

مستقيمون يخافون الله و يحيدون عن الشر ، وهذا يبطل اساس الكفارة وبالتالى يهدمها تماما.

والنقطة الاخرى الاساسية فى هذه العقيدة المسيحية هى ان الله تعالى لم يغفر خطيئة آدم و نتيجة لهذا انتقلت الخطيئة الى كل ابناء آدم لان الله تعالى لا يغفر الذنوب بالتوبة فقط بل لا بد من العقاب ولتخليص الانسان من ذلك العقاب ارسل الله ابنه الوحيد فصلب لهذه الغاية وحمل خطايا الناس كلهم.

والقول بان الله تعالى لا يغفر الا بالعقاب باطل حسب الكتاب المقدس فقد جاء فى الانجيل ان الله تعالى غفر ذنوب اهل نينوى بدون اى عقاب بل بصومهم واقامتهم للتوبة ، (٤٨) فاذا كان الله تعالى قد تاب على اهل نينوى بدون عقاب بعد معصيتهم فلما ذا لم يغفر الله لآدم؟

ومن المعلوم انه اذا بطلت القضية الكلية بطلت القاعدة. وقد عرفنا ايضا ان الله تعالى يغفر بدون الكفارة عن طريق الدعوات و العبادات . وليس ما رويناه الآن من الانجيل هو كل ما نستطيع ان نستدل به على بطلان اساس عقيدة الصلب والفداء ، بل يشرح الكتاب المقدس بوضوح ان الانسان يكفيه-لكى ينجح ويفلح – ان يعمل اعمالا حسنة بدون اى ذكر للحاجة الى كفارة المسيح او الايمان بها. فمثلا جاء فى الكتاب المقدس:

" النفس التى تخطىء هى تموت والانسان الذى كان باراً و فعل حقا و عدلا لم ياكل على الجبال و لم يرفع عينيه الى اصنام بيت اسرائيل و لم ينجس امرأة قريبه و لم يقرب امرأة طامثا و لم يظلم انسانا بل رد للمديون رهنه و لم يغتصب اغتصابا بل بذل خبزه للجوعان و كسا العريان ثوبا و لم يعط بالربا و لم ياخذ مرابحة و كف يده عن الجوارح واجرى العدل الحق بين الانسان و الانسان وسلك فى فرائضى وحفظ احكامى ليعمل بالحق فهو بار ، حيوة يحيا يقول السيد الرب"(٤٩).

" فكل ما يحتاجه الانسان لنجاحه و حياته الابدية – طبقا لهذا النص – هو الاعمال الصالحة ولا يحتاج الى الايمان بقصة الكفارة المعقدة المخترعة على يد القساوسة . ولو كانت الكفارة هى الطريق الوحيد للخلاص– كما يعتقد اهل الكنيسة– لكان على حزقيال ان يؤكد على الإيمان بكفارة المسيح بدلا من الاعمال الصالحة المذكورة فى رسالته.

وهناك نص آخر يصرح بوبضوح كامل ان لكفارة او عقيدة الفداء والصلب لا علاقة لها بخلاص الانسان من معاصيه و هذا واضح على لسان المسيح نفسه فى النص التالى:

" وإذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح اى صلاح اعمل لتكون لى الحيوة الا بدية. فقال له لماذا تدعونى صالحا. ليس احد صالحا الا واحد وهو ا لله ولكن ان اردت ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا. قال له اية الوصايا فقال يسوع لاتقتل ، لاتزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم أباك و أمك ، وأحب قريبك كنفسك ، قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فما ذا يعوزنى بعد ، قال له يسوع ان اردت ان تكون كاملا فاذهب و بع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء و تعال أتبعنى"(٥٠).

هنا لم يذكر المسيح شيئا عن صلبه و عقيدة الكفارة بل ارشد السائل الى العمل الصالح ليحصل على حياته الابدية. واذا كان المسيح نفسه لا يبلغ ولا يذكر عقيدة الصلب والفداء فى حياته مع انه سئل عن الاعمال التى تنجى، فلما ذا ينسب "بولس" عقائد باطلة الى المسيح مع ان "بولس" كان فى البداية من اعداء المسيح و متبعيه.

وبالا ضافة الى هذا نجد نصا آخر فى الكتاب المقدس يبين بوضوح ان ا لله تعالى فى يوم القيامة يغفر للناس لا على اساس ايمانهم بصلب المسيح و الكفارة بل على اساس اعمالهم الصالحة ويعاقب الاخرين عقوبة

النار لا لانهم لم يؤمنوا بعقيدة الصلب والفداء بل لانهم لم يقوموا بالاعمال الصالحة ، فقد جاء في انجيل متى مايلي:

" ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعدلكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فاطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني ، عريانا فكسيتموني ، مريضا فزرتموني، محبوسا فاتيتم الى فيجيبه الابرار حينئذ قائلين يا رب متى راينا جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك و متى رأيناك غريبا فآويناك او عريانا فكسوناك ومتى رأيناك مريضا او محبوسا فاتينا اليك فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتي هولاء الأصاغر فبي فعلتم ثم يقول للذين عن اليسار أذهبوا عني يا ملا عين الى النار الابدية المعدة لابليس و ملائكته لاني جعت فلم تطعموني ، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبا فلم تأووني ، عريانا فلم يكسوني ، مريضا و محبوسا فلم تزوروني حينئذ يجيبونه هم ايضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا و لم نخدمك فيجيبهم قائلا الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوه باحد هولاء الاصاغر فبي لم تفعلوا ، فيمضي هولاء الى عذاب أبدي والأبرار الى حيوة ابديه" (٥١).

يثبت هذا النص ان الخلاص الحق طبقا للكتاب المقدس لا علاقة له بالصلب ولا بعقيدة الكفارة و انما هو مرتبط بالايمان با لله سبحانه وتعالي والاعمال الصالحة كما يقول الكتاب المقدس :

"انت تؤمن بأن ا لله واحد، حسنا تفعل والشيا طين يؤمنون و يقشعرون ولكن هل تريد ان تعلم ايهاالانسان الباطل ان الايمان بدون اعمال ميت... و ... انه بالاعمال يتبرر الانسان"(٥٢)

يبقي الجزء الا خر من عقيده الفداء وهو ان معصية آدم قد انتقلت الي كل ابنائه ـ وهذا ايضا يخالف تعاليم الكتاب المقدس لانه قد اتضح ان كل واحد مسؤل عن أعماله والكتاب المقدس لا يؤيد فكرة انتقال الآثام

من الأب الي الابناء يعني ان ابناء آدم وحواء لا يواخذون بمعصيتهما ويصرح الكتاب المقدس بهذا الصدد:

" لا يقولون بعد الاباء اكلوا حصرما واسنان الابناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه. ككل انسان ياكل الحصرم تضرس اسنانه"(٥٣)

واذا كان آدم هو الذي اكل فلما ذا تضرس اسنان الابناء ؟

وفي ضوء هذا تبطل عقيدة الصلب والفداء لانها اسست علي ان معيصة آدم (المعصية الاصلية) تورث الي كل ابناء آدم وحوا. ولا بد من مجيء المسيح ليخلص ابناء آدم من هذه المعيصة الموروثة- واذا بطل الاساس بطلت العقيدة كلها فاذا لم يرث ابناء آدم معصية ابيهم فلا يستحقون عقاب تلك المعصية ايضا. لان هذا ضد العدالة الالهية . والله تعالي لا يعاقب ابناء آدم لمعصية أبيهم كما جاء في الكتاب المقدس بمنتهي الوضوح:

" وانتم تقولون لما ذا لايحمل الابن من اثم الاب. اما الابن فقد فعل حقا وعدلا حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحيوه يحيا. النفس التي تخطي هي تموت الا بن لا يحمل من اثم الاب والأب لا يحمل من اثم الابن برالبار عليه يكون و شر الشرير عليه يكون . فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضى و فعل حقا وعد لا فحيوة يحيا لا يموت"(٥٤)

فهذه الاقوال من الكتاب المقدس تثبت صراحة ان الابناء لا يواخذون بمعاصي ابائهم -

فالا عتقاد بان كل انسان يولد علي فطرة المعصية ظلم للانسانية وليس فقط ضد قوانين العدل والقسط بل ضد التعاليم الواضحة للكتاب المقدس -

نتيجة البحث

تبين لنا من خلال هذه المناقشة ان عقيده الصلب والفداء غير معقولة من كل ناحية: العقلية والنقيلة ـ فالا ساس هو ان خطيئة آدم وصلت في خطورتها الي حد جعلها لا تستحق العفو والمغفرة فكان العقاب حتميا.
فهل من المعقول ان الاكل من الشجرة الممنوعة يجعل الانسان يستحق العقاب الدائم والموت . اما ان "هذا الذنب قد احتوي علي كل انواع الذنوب".
فليس له اي دليل في الاناجيل المحرفة بل هي افكار "بوليس" و "اوغسطينوس" اللذين جاء بعد موت المسيح ـ
اما الانا جيل الاربعة فتخالف هذه الفكرة تماما ـ
كيف اصبحت هذه العقيدة مر كزية للمسيحية مع انها عقيدة غير سماوية و باطلة من نا حية العقل ومن ناحية الكتاب المقدس!!

الحواشي

١- المائدة/٨٢
٢- المائدة/٧٢
٣- المائدة/٧٣
٤- المنجد، مادةفدي
٥- William J. Wolf, Christian concepts of Atonement , P 495, V.I
٦- انجيل مرقس١٨:١٥
٧- متي ٢٧-٣٧
٨- يوحنا١٩-٣٥
٩- Encyclopaedia of Religion, V.I, p. 495
١٠- كورنثوس٢٣:١٥

St. Augustine, *City of God*, p 306, Image Books, 1958 Edition—١١

١٢— سفر التكوين ٢:٧

١٣— *City of God*, p 308

١٤— *City of God*, p, 313

١٥— *Encylopaedia of Religion*, V. 3, p 356, J. Pelikan, *The Essence of Christianity*.

١٦—Goldsack, *The Atonement*, Punjab Religious Book Society, Lahore, p 5

١٧— سعد الدين السيد صالح، مشكلات العقيدة النصرانية، دارالبيان مصر، ١٩٨٣م

١٨— J.N .D . Kelly, *Early Christian Doctorine*, p 14 7- 84

١٩— T. C Hammond, *In Under standing the Men*, p 110

٢٠— *Encyclopaedia* of Religion, V.3 p 357, Pelikaa, *The Essence of Christianty*.

٢١— اشعياء،٥٣-٤-٧٠٠

٢٢— المرجع السابق

٢٣— احمد شلبي ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥م، ص ١٢٢.

٢٤— الزلزلة ٦—٨

٢٥— سفر التكوين ٣:٦

٢٦— كفاره كى حقيقت ص٢٩، انجمن احمدية ، ربوه ، باكستان.

٢٧— المصدر السابق

٢٨—Goldsack, *The Attonement*, Punjab Religious Book Society, Lahore. p13

٢٩— التكوين٦:٣—١٧

٣٠— التكوين٦:٣

٣١— تيموثاؤس٢:١٤

٣٢— مناظرة بين الاسلام و النصرانية— ص٢٦٢، الادارة العامة للطبع و الترجمة ١٤٠٧، الرياض.

٣٣- المصدر السابق ص١٢٠

٣٤- المصدر السابق ص ١٢٢

٣٥- حزقيال ١٨:٢٠

٣٦- متى١:٢١

٣٧- لوقا٢:١١

٣٨- لوقا١٩:١٠

٣٩- متى ٢٠:٢٨

٤٠- متى ٢٦:٢٨

٤١- اهل رومية١٢:٥-١٩

٤٢- اهل رومية ٣:٦-٦

٤٣- St. Augustine, *City of God,* Book 14, Ch. II

٤٤- التكوين٢٣:٥-٢٤

٤٥- ٦:٩

٤٦- ايرب١:١

٤٧- لوقا١:٦

٤٨- سفريونان ٣:١٠

٤٩- حزقيال ٥:١٨-٩

٥٠- متى ١٦:١٩-٢٢

٥١- متى ٣٤:٢٥-٤٦

٥٢- رسالة يعقوب ١٩:٢-٢٤

٥٣- ارمياء ٢٩:٣١-٣٠

٥٤- حزقيال ١٩:١٨-٢٢

****